مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

قراءة في كتاب

قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر

النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني... - الجزء 1 -

للدكتور محمد الناصري

نعيمة جريبان – هاجر التويمي – عبد العزيز خديم

طلبة باحثون في سلك الدكتوراه

الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية

جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال

المغرب

جميع الحقوق محفوظة © 2025

All rights reserved © 2025

لجنة الإعلام والتواصل

الملخص.

ساد التأويل للدين في العقود الأخيرة، حيث تعددت المقاربات الأخلاقية، فحرية الاعتقاد تعد أصلا منهجيا لفقه التعارف والاجتماع الإنساني عند د. محمد الناصري، كما يتبين في دراسته لقضايا في الفكر الإسلامي المعاصر: النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، حيث درس النهج القرآني في التعارف والاجتماع الإنساني منطلقا من القرآن الكريم، فتعددت قراءته بين تأصيلية ومستقبلية أو مآلية،... فقد عالج إشكالية الفهم الخاطئ لمجموعة من المفاهيم، كالعنف ليبين كيف عالجها القرآن، وقد ضم هذا الكتاب ثمان دراسات، تجمعها وحدة الموضوع والقصد وهي مقاربات أخلاقية، تقترب من الرؤية القرآنية في قضايا القيم، والمشترك الإنساني، وحرية الاعتقاد، والعلاقة مع الآخر المخالف، ... فهي جميعها قضايا ترتبط بالنص القرآني، منطلقة من الوحي المحفوظ، متجاوزا بذلك من سبقه ممن كتبوا دفاعا عن القرآن الكريم.

فما المقصد من هذا الكتاب؟ وما أهم القضايا التي عالجها؟ وما أهم المحتويات التي شملها؟ وما هي الإضافة التي جاد بها هذا الكتاب؟

الكلمات المفتاحية: النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، الفكر الأخلاقي.

على سبيل التقديم.

إن القضايا الفكرية الكبرى التي يناقشها الخطاب الإسلامي المعاصر تتطلب مقاربات جديدة تنطلق من صلب النص القرآني، وتعيد قراءة التراث في ضوء القيم القرآنية الكلية، ومعطيات الواقع المتغير. ومن هنا جاءت هذه القراءة في كتاب "**قضايا في الفكر الإسلامي: النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني**" للدكتور محمد الناصري، محاولة لاستجلاء الرؤية القرآنية والفقهية في موضوعات مركزية مثل حرية الاعتقاد، العلاقة مع الآخر، النسخ وآية السيف، المشترك القيمي، وتقسيم العالم.

وقد انطلقت هذه القراءة من قناعة أن الكتاب لا يقدم مجرد مقالات مستقلة، بل يسير وفق وحدة موضوعية ومنهجية تربط بين الفصول، قوامها العودة إلى النص المؤسس وتحليل السياقات وتفعيل المقاصد. وفق مقاربات أخلاقية، تقترب من الرؤية القرآنية في قضايا القيم، والمشترك الإنساني، وحرية الاعتقاد،

والعلاقة مع الآخر، متبعا في ذلك منهجا قرآنيا جاء وفق رؤية قرآنية مستمدة من الوحي الإلهي، وعليه فإن الفصول الثمانية تشكل نسيجا معرفيا متكاملا يعكس الخلفيات الأساسية التي ينبني عليها الطرح وهي:

- ✓ **الخلفية المعرفية**: التي تؤصل لقيم العقل، الفطرة، التعايش، والعدالة.
- ✓ **الخلفية التاريخية**: التي تعيد فهم المواقف والمفاهيم وفق سياقاتها الزمنية الواقعية.
- ✓ **الخلفية المنهجية**: التي تتبنى فقهاً تأويلياً مرناً، يزاوج بين الثابت والمتغير، بين النص والواقع.
- ✓ **الخلفية الشرعية**: التي تنطلق من مقاصد الشريعة وغاياتها الكبرى.

وقد توزعت هذه القضايا في ثمانية فصول، تناول كل واحد منها بُعداً مهماً من أبعاد الرؤية القرآنية للعلاقات الإنسانية والدولية، بدءاً من استراتيجية القيم، مرورا بالعهد النبوي وتقسيم العالم، وانتهاء بحرية الاعتقاد كأصل مؤسس في الاجتماع البشري.

وهذه الورقة إذ تقدم قراءة تحليلية لهذه الفصول، فإنها تسعى إلى إبراز ما في الكتاب من تجديد في المنهج، وعمق في الطرح، ووضوح في الرؤية، راجين بأن تسهم في تفعيل حوار فكري يردم الفجوة بين النص وواقع الإنسان المعاصر.

التعريف بالكتاب.

قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر: النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني عنوان لكتاب ألفه فضيلة الدكتور محمد الناصري، يقدم من خلاله منهجا متفردا لدراسة مجموعة من القضايا في الفكر الإسلامي متبعا المنهج القرآني، صدر الكتاب عن دار الأمان في طبعته الأولى سنه 2023م، الرباط المغرب، ويقع الكتاب في 160 صفحة من الحجم المتوسط، وهو الجزء الأول من "قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر"، تناول فيه المؤلف عددا من القضايا في الفكر الإسلامي المعاصر وذلك كالآتي: فبعد تقديم للمفكر العربي الدكتور رضوان السيد ، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان كشف فيه عن فقه التعارف والاجتماع الإنساني ، مبينا أهمية القضايا التي جاءت بين دفتي الكتاب ، مع الإشادة بالمنهج المتفرد المتبع في دراسة هذه القضايا، وهو منهج قرآني جاء وفق رؤية قرآنية مستمدة من الوحي الإلهي، إضافة إلى مقدمة للدكتور محمد الناصري

بسط فيها أهمية الكتاب، ومتحدثا عن أهم القضايا التي سيتم تناولها بشكل مقتضب، وهي قضايا ثمان ، تجمعها وحدة الموضوع والقصد وهي مقاربات أخلاقية، تقترب من الرؤية القرآنية في قضايا القيم، والمشترك الإنساني، وحرية الاعتقاد، والعلاقة مع الآخر المخالف، ... فهي جميعها قضايا ترتبط بالنص القرآني، وفق منهج علمي رصين، مقصده الأساس دراستها وفق رؤية قرآنية كونية، ذات بعد قيمي أخلاقي، منطلقة من الوحي المحفوظ، متجاوزا بذلك من سبقه ممن كتبوا دفاعا عن القرآن الكريم. ليتناول المؤلف في بقية صفحات الكتاب القضايا الثمان مناقشة وتحليلا. وسعت الدراسة إلى مقاربة هذه القضايا وإن اختلفت أزمنة كتابتها غير أن الذي يجمعها خيط ناظم رفيع هو ارتباطها بالقرآن الكريم كما تتميز بوحدة الموضوع والقصد.

وتسعى الدراسة إلى محاولة إزالة اللبس عن مجموعة من القضايا، وتصحيح مجموعة من المفاهيم حيث ناقش الدكتور محمد الناصري نشأتها، مع العمل على إعادة صياغة مفهوم جديد كالتقسيم الإسلامي للمعمورة، كما سعى إلى أهمية المشتركات القيمية في حل الأزمات العالمية.

نبذه موجزه عن المؤلف.

محمد الناصري باحث مغربي، أستاذ الفكر الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال.

باحث بمجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب.

المنسق البيداغوجي لماستر العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية تكامل المناهج والمعارف.

المنسق البيداغوجي لتكوين الدكتوراه الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية.

من مؤلفاته:

الاجتهاد والتجديد: دراسات مهداة للمفكر رضوان السيد، (مع مجموعة من المؤلفين)، مجلة الإحياء، الرباط.

العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، دار الهادي، بيروت، لبنان.

ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل، وزارة الأوقاف، الكويت.

مسألة النسخ في الفكر الإسلامي مكتبة الإسكندرية مصر.

في نقد مقولات التطرف الديني تقديم المفكر المصري أ. د نصر محمد عارف مركز أطلس المغرب بني ملال.

للباحث العديد من المقالات والدراسات المنشورة في المجلات علميه دوليه محكمه كما شارك في العديد من المؤتمرات الوطنية والدولية.

هدف المؤلف من الكتاب.

إن السياق الذي جاء في هذا الكتاب يعرف أزمة قيمية أخلاقية، تبرز تجلياتها في التأويل الخاطئ لكثير من القضايا والنظرة الجزئية لها، الذي يفقدها مقصدها الذي جاءت من أجله رسالة الإسلام باعتبارها رسالة عالمية للناس كافة، وقد جاءت هذه الدراسة لتزيل اللثام عن مجموعة من الفهوم الخاطئة بمنهج قرآني ينبع من رؤية قرآنية "**هذا الكتاب يضم ثمان دراسات نشرت جميعها في مجله التفاهم العمانية على امتداد فترة زمنية ليست بالقصيرة، وقد مضى ما يزيد عن عشرة أعوام على أولها، وهي دراسات ترتبط جميعها بالنص القرآني. ولهذا فالدراسات الثمانية وإن اختلفت أزمنة كتابتها فبينها ناظم يجمعها وخيط رفيع يوحدها في الموضوع والقصد.**

ووحدة الموضوع في الدراسات التي جمعها هذا الكتاب إنما مرده إلى محاولة اقترابها من الرؤية القرآنية في قضايا القيم، والمشترك الإنساني، وحرية الاعتقاد والعلاقة مع الآخر المخالف في الدين... ولهذا فهي وحدة تنبع من صلب القضايا التي تعالج هذه الدراسات والتي لها جميعها ارتباط بالنص القرآني"[1].

الخلفية النظرية للكتاب:

يأتي كتاب "قضايا في الفكر الإسلامي: النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني" للدكتور محمد الناصري، ليسهم في إعادة قراءة المفاهيم الإسلامية الكبرى في ضوء التحديات الفكرية والإنسانية المعاصرة،

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، دار الأمان، الرباط، الطبعة:1، 2023م، ج1 ص9.

مستندًا إلى مجموعة من الخلفيات الرئيسية التي تُشكل مرتكزًا لفهم موضوعاته، وهي: الخلفية المعرفية، الخلفية التاريخية، والخلفية الشرعية، والخلفية الواقعية أو (السياقية). ومن خلال هذه الخلفيات، يسعى الكتاب إلى بيان أصالة الإسلام في تبني قيم الحرية والعدل والتسامح، وإبراز انفتاحه على المشترك الإنساني بعيدًا عن القراءات المنغلقة للنصوص.

- **الخلفية المعرفية:**

تتمثل في أن محرك الأستاذ محمد الناصري هو الرجوع إلى المعرفة الإسلامية الأصيلة من خلال نقد الخطابات المعرفية السائدة في تاريخ الفكر الإسلامي وتفكيكها ونقدها وتمحيصها من خلال ارجاعها إلى الوحي، وارتباطا بهذه الرؤية المعرفية نجد الباحث يبين بالملموس انخراط الفكر الإسلامي في مشروع قيمي كبير قائم على استراتيجية دار الإسلام.

تُعنى بمساءلة المفاهيم السائدة حول الأخلاق، والعقل، والحرية، والتعايش، انطلاقًا من الرؤية القرآنية الكونية. ويطرح الكتاب في هذا السياق تساؤلات عميقة حول أصل الأخلاق ومصدرها، مطلقيتها أو نسبيتها، وحدود التفاعل بين النقل والعقل، مما يفتح أفقًا لفهم الدين كمنظومة عقلية وأخلاقية شاملة.

- **الخلفية التاريخية:**

أما الخلفية التاريخية تتجلى في العودة إلى التاريخ ورصد تطور المفاهيم ومدى تأثرها بالسياقات التاريخية، وبيان كيف أن هذه السياقات أثرت في تشكل المفاهيم وللأسف كان هذا التأثير سلبي لأنه أخفى الدلالة الشرعية ومنع المعرفة الإسلامية الأصيلة من الظهور والبيان والجلاء.

كما تتجلى أيضا في عرض تطور الدعوة الإسلامية عبر مراحلها المختلفة، وبيان السياقات التي حكمت علاقة المسلمين بغيرهم، سواء في السلم أو القتال. وبهذا يُفكك الكتاب التصورات الجامدة حول مفاهيم مثل "دار الإسلام" و"دار الحرب"، ويؤكد على الطابع السلمي والدعوي الثابت في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته.

- **الخلفية الشرعية:**

تُشكّل الخلفية الشرعية بعدًا أساسيًا في الطرح، إذ يعتمد الكتاب على تحليل النصوص القرآنية والحديثية بالعودة إلى مقاصد الشريعة الكبرى، ويفكك المفاهيم الخلافية كفكرة النسخ وآية السيف، ويدافع عن حرية الاعتقاد بوصفها أصلًا قرآنيًا مؤسسًا لا يقبل التعطيل أو النسخ.

يصدر الباحث عن رؤية اجتهادية تحاول قراءة التراث الفقهي بناء على الرؤية المعرفية القرآنية، ومن خلال الأسئلة التي يطرحها العصر ففي ظل جو مشحون بالصراع والعنف، والرغبة في الاقصاء والهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية لا بد من مواجهة هذا التيار الكاسح بالتسلح برؤية شرعية غايتها تكريم الإنسان وحمايته وصون كرامته والدفاع عن حقوقه.

- **الخلفية الواقعية(السياقية)**.

وهي خلفية تُعنى بربط موضوعات الكتاب بواقع العالم المعاصر وتحدياته، مثل: الحروب، النزاعات الثقافية، إشكاليات حقوق الإنسان، وتوظيف الدين في السياسة. هذه الخلفية تظهر بوضوح في النقاشات المتعلقة بآية السيف، وحرية الاعتقاد، والتعايش العالمي، حيث يسعى الكتاب إلى تجاوز التأويلات التي أنتجت خطابًا صداميًا أو إقصائيًا، نحو خطاب واقعي يعالج قضايا العصر ويقترح حلولا عملية.

وبهذا، يقدم الكتاب قراءة نقدية بناءة تسعى إلى إعادة تأصيل العلاقة بين النص والواقع، والانفتاح على الإنسان بما هو إنسان، عبر خطاب قرآني قائم على الرحمة، العدل، والعقلانية.

منهج المؤلف في كتابه.

إن المتفحص لهذا الكتاب، الناظر في فصوله، ليلمس جهدا كبيرا وعملا دقيقا ومنهجا جديدا في دراسة هذه القضايا، دراسة تأسست على منهج قرآني، يؤصل للقضايا المدروسة تأصيلا قرآنيا رصينا، مناقشا القضايا المطروحة في متن هذا الكتاب مناقشة علمية معتمدا فيها على مناهج علمية رصينة تستمد قوتها من القرآن الكريم، مستعينا بما تراكم لدى المؤلف من خبراته الطويلة في البحث في هذه القضايا على مدى سنين، فكان لهذه الخبرة الكبيرة الاثر الكبير في مناقشة هذه القضايا مناقشة علمية، مسلحا بالمنهج التحليلي والنقدي التفاعلي البناء، الذي أبدع في توظيفهما، في معالجة هذه القضايا البحثية وما تفرع عنها من إشكالات جزئية، يقول رضوان السيد: "**يفيد الأخ محمد الناصري من هذه الأنواع كلها، لكنه يتجاوزها**

كما يتبين من دراسته: بعنوان قضايا في الفكر الأخلاقي، ومن دراسته حرية الاعتقاد في القرآن الكريم ، الأصل المنهجي لفقه التعارف والاجتماع الإنساني . فالذين كتبوا من قبل كان همهم الدفاع عن القرآن بينما كان الناصري بين الذين درسوا النهج القرآني بالتعارف والاجتماع على أساس منه."[1]

محتوى الكتاب.

الفصل الأول: استراتيجية[2] المشتركات القيمية واستراتيجية دار السلام.

يعرف العالم الإسلامي تطورا على جميع الأصعدة، اقتصاديا وعلميا وفكريا...، أفادت البشرية منه، وعلى قدر هذه الإفادة، يعيش العالم اليوم أكثر من أي وقت مضى أزمات عالمية متعددة شاملة لمختلف المجالات، يقول الدكتور الناصري: "**فإذا تمعنا جليا في كل ما يشهده كوكب الأرض من تصادم وحروب ومجاعات وأزمات وكوارث، فإننا نجد أن كل الاحتمالات المطروحة أمامنا لا تنذر إلا بخطورة الوضع. والبشرية مهددة بأكملها إذا لم تستدرك، وبسرعة المخاطر[3] التي تتهدده**"[4]، وبسبب هذا الوضع يتساءل المؤلف: ما السبيل الكفيل بتحقيق السلام العالمي؟، حيث يرى أن تحقيق ذلك مرتبط بتعزيز الوعي بثقافة السلام، ولا يكون ذلك إلا بالتأكيد على المشتركات الإنسانية القيمية القادرة على تحقيق العدالة والتعاون والأمن والسلام، وتحقيق وحدة الإنسانية ووحدة الجوهر، داخل منظومة عالمية متعددة الثقافات. "**هذه القيم جميعها هي الأساس لتحويل جوارنا العالمي، إلى مجتمع أخلاقي يرتبط فيه الناس بما هو أكثر من روابط المصلحة.**"[5]

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص5.

2 والاستراتيجية عموما هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتّبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول. أو بتعبير آخر تحقيق هدف معيّن على المدى البعيد اعتمادا على الآليات والإجراءات المتوفرة في المدى القصـــير. ولن تكون هذه الأسُس سوى المشتركات القيمية.

3 تعددت هذه المخاطر ويمكن إجمالها في: تفشـي النزاعات الدولية، والداخلية، وتهديد البيئة الطبيعية بالتلوث والتصـحر وارتفاع درجة الحرارة، الانحراف في تسخير العلم والمعرفة، والأخطر من ذلك كله، تدهور القيم الروحية والإنسانية.

4 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص11.

5 نفسه، ص 13.

ومن هذا المنطلق يحدد الدكتور الناصري أهم معالم استراتيجية المشتركات القيمية، فقد أجملها في النقاط التالية:

- الالتزام بالثقافة المسالمة واحترام الحياة.
- الالتزام بثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل والمساواة.
- الالتزام بثقافة التسامح والاحترام المتبادل وبالصدق في الحياة.

غير أن الدكتور الناصري يرى أن تفعيل استراتيجية المشتركات القيمية رهين بممارستها على نحو مسؤول، وبقدرة الناس والحكومات على تجاوز المصالح الذاتية الضيقة، ويشدد الدكتور الناصري على أن تأسيس بعد أخلاقي لإدارة شؤون مجتمعنا العالمي، يتطلب نهجا ثلاثيا:

- إعلان وتشجيع الالتزام بالقيم الأساسية المتعلقة بنوعيه الحياة والعلاقات.
- تعزيز الإحساس بالمسؤولية المشتركة إزاء الجوار العالمي.
- التعبير عن هذه القيم من خلال الأسس الأخلاقية للمجتمع والمسؤوليات المحددة التي تشارك فيها كل القوى الفاعلة العامة والخاصة الجماعية والفردية.
- تجسيد هذه الأخلاقيات في النظام المتطور للمعايير الدولية.

استراتيجية دار الإسلام:

في مستهل حديثه عن استراتيجية دار الإسلام يؤكد الدكتور الناصري "**أن مسألة التقسيم للمعمورة منظورا إليها في سياق رؤى العالم، وفي سياق منظور حضاري أرحب** "[1]، وقد تم تقسيم المعمورة إلى دار إسلام ودار حرب، وهو تقسيم جاء نتيجة اجتهاد فقهي محصور بالزمان والمكان، تحكمت فيه السياسية التي هيمنت على توسع الرقعة الجغرافية الإسلامية؛ "**إن دار الإسلام تعيش في محيط دولي تتعايش فيه مع دول وأمم أخرى تتشابك معها في المصالح أو تتقاطع، وتكون لها علاقات مؤثرة ومتأثرة، مما يفرض أن يكون لها تصوراتها ومفاهيمها وأحكامها لتنظيم هذه العلاقات**"[2].

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص19.
2 نفسه، ص 20/19.

ليؤكد على أن المشتركات القيمية الحاكمة لعلاقة دار الاسلام بغيرها من الأمم والحضارات قد جاء الإسلام بالعديد من القواعد والقيم التي يجب على دار الإسلام أن تراعيها في تعاملاتها مع الدول الأخرى، "**فليس كل سلام يمكن تحقيقه سلام مقبول في النظرية الإسلامي، ما لم تأت جميع خطواتهم متسابقة مع رؤية العالم من المنظور الإسلامي، ومنضبطة وفقا لقيام هذا المنظور ومبادئه العليا**"[1].

ويعد التوحيد عند الاستاذ الناصري المنطلق الأساس الأول المستوعب لكل القيم الأخلاقية لعلاقة دار الإسلام بغيرها، ولرؤية القرآن للعالم "**وهذا المنطلق كما يدل عليه مصطلحه، وتنطق به كلمه الشهادة، ويوضحه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يقيم العقل المسلم والفكر المسلم، والمنهجية الإسلامية على فرضية الحق أساسا ومدارا ومآلا لكل الكون والكائنات**"[2].

إن علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم والحضارات ينبني على ستة ثوابت قيمية حسب الدكتور الناصري[3] كلها تدعو إلى التعايش السلمي والتواصل الفعلي والتعاون العملي بين دار الإسلام وغيرها من الأمم، والقيم الستة التي تحكم العلائق بالأمم والحضارات تتمثل في:

المساواة التي أقرها القرآن، فألغى بذلك كل أسباب التفرقة بين الناس، "**ويجعل من الاختلاف والتنوع سببا للوحدة الإنسانية ومدعاة لتحقيق الاتصال والتعارف والتآلف بين البشر جميعا، وليس سببا في النزاع والتقاتل**"[4].

والكرامة ترتبط ارتباطا بالمساواة، فالكرامة كما يعرضها القران الكريم هي: "**قيمه وجودية، تتعلق بفطرة الإنسان واختصاص الله له بالعقل والاستخلاف في العالم وتسخير إمكانيات هذا العالم له وإقداره على الولاية فيه**"[5].

---

1 نفسه، ص20.

2 عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمى الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1412 هـ/1991 م، ص قضايا في الفكر الإسلامى المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، صفحة127.

3 للتوسع أكثر ينظر: محمد الناصري، م س، ص من 22 إلى 27.

4 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامى المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 23.

5 رضوان السيد، القرآن والتاريخ: رؤية قرآنية في الأمم والحضارات، مجلة التفاهم، السنة التاسعة، 1432 هـ/ 2011 م، عدد: 32، ص 16.

والرحمة من القيم العليا التي جعلها الله خاصة بالبشر جميعا، ويجعلها القرآن الكريم الصبغة العامة في تعامل أهل دار الإسلام مع الآخر.

والتعارف، فمقصد عملية التعارف في القرآن الكريم تحقيق الخيرات، يقول الله تعالى: **﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾** [البقرة: 147].

والعدالة وثيقة الارتباط بالسلام، فما يعرفه العالم من تأزم وتوتر ناتج عن غياب العدل "**وحين نتأمل في هذا الارتباط بين السلام والعدل فلسفيا، نجد أن السلام كقيمه مطلقه لا يمكن في الواقع أن يقوم إلا على مبدأ العدل الذي يعد شرطا لإخراج السلام من أزمته الحادة، فهو مفتاح للسلام الدائم**"[1].

والخير العام باعتباره خاتمة منظومة القيم القرآنية، فهي تتشابك مع بقية أجزاء المنظومة، يقول الله تعالى: **﴿*وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾** [البقرة: 147].

ويختم الدكتور الناصري هذا الفصل بالتأكيد على أن الإسلام بفضل منظومته القيمية قادر على أن يؤدي دورا بالغ الأهمية والفعالية على مستوى نشر السلام العالمي، ويعني ذلك حسب "أن التكليف الرئيس لأهل دار الإسلام هو البحث عما يجمع لا ما يفرق، وتدعيم المشتركات القيمية والعمل على نشرها. فالمنظومة القيمية في الاجتماع الإنساني قائمة على ديننا، وهي -كما بينا- حافلة بالقيم المشتركة مع سائر البشر، وتنسجم تماما مع ما أكدناه سلفا من مشتركات قيمية"[2].

الفصل الثاني: الصور الأربع لحياة المسلمين في العهد النبوي (مكة قبل الهجرة، الحبشة، المدينة، مكة بعد الفتح.

في هذا الفصل يناقش المؤلف نماذج من الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين المسلمين والآخر، فدعوه الإسلام خلال هذه الصور جاءت منسجمة والمبادئ العامة والقواعد الكلية الحاكمة لعلاقة الجماعات المسلمة بغيرها، وتتجلى هذه المبادئ في مبدأ التوحيد، ومبدأ العالمية، ومبادئ المساواة والعدل والحرية، مبادئ تجعل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم تنسجم مع عالمية الدعوة، دون حصر الدعوة في مكان

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 26 – 27.
2 نفسه، ص 26 – 27.

محدد. فدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، "**بدأت سرية محلية من دخول الناس في الإسلام من النساء والرجال حتى فشا ذِكر الإسلام بمكة وتحدث به، فأمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه**"[1].

لم تسلم جماعة المسلمين الأولى من مختلف أشكال التعذيب والقهر من الحكام، غير أن المسلمين واجهوا كل ذلك بالصبر والابتعاد عن العنف: "إن الأسلوب الذي واجهت به الجماعة المسلمة ذلك الصراع هو أسلوب الصبر والمقاومة السلمية والإصرار على عدم اللجوء إلى الرد بالعنف مهما تعرض المسلمون للأذى والعدوان "[2]، فقد كانت الجماعة الأولى حريصة أشد الحرص على الاستفادة من الوسائل السلمية المتاحة حينها. "وإن اقتضى الأمر البحث عن مكان آمن للدعوة عن طريق الهجرة"[3]، فإذا كان هذا حال الدعوة سرا، فهل سيبقى نفس الأسلوب في باقي المحطات؟، يتساءل المؤلف.

بالنسبة للهجرة إلى الحبشة، لم يسلم المهاجرون من متابعة قريش، حيث أرسلت إلى النجاشي هدايا كثيرة أمَلا في طرد هؤلاء الناس وتسليمهم مرة أخرى إلى أعدائهم. والحوار الذي دار بين النجاشي والمسلمين يلخص هذه الواقعة. تبين من خلاله " أن الجماعة المسلمة اتخذت من الحوار أسلوبا سلميا لإقناع النجاشي بصدق دعوتهم وإفشال مساعي رسل قريش في ردهم إلى مكة والنيل منهم "[4]، وبهذا استطاع المسلمون عن طريق الحوار والكلمة السواء أن يقدموا صورة فريدة عن الدعوة التي يحملونها من خلال التركيز عن نقاط الالتقاء والقواسم المشتركة بين الإسلام والنصرانية؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران، 63]. يقول عبد العزيز برغوت مؤكدا ما ذهب إليه المؤلف: "**من هذا**

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 33-34.
2 نفسه، ص 35.
3 نفسه، ص 35.
4 نفسه، ص 38.

المنطلق فالحديث عن الحوار في الإطار الإسلامي هو حديث عن توجه حضاري عام في بنية الإسلام وتصوراته الكونية العامة"[1].

وأما صورة الهجرة إلى المدينة، انتقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجتمع المسلم من الفكر المبني على القبلية إلى فكر أساسه الجماعة، واعتمد مبدأ العلاقات الإنسانية والعقدية والقانونية، وجاءت وثيقة المدينة لتنظم الحقوق والواجبات بين مكونات المجتمع بين المهاجرين والأنصار، وتعترف بالحرية الدينية للأقليات، في احترام كامل لِنظام الجماعة المكوِّنة للمدينة.

ليجيب الدكتور الناصري بتفصيل عن أسئلة غاية في الأهمية عن وثيقة المدينة، من قبيل:

فما الذي تضمنته هذه الوثيقة بخصوص اليهود؟ وكيف رسمت حدود العلاقة بينهم وبين جماعة المسلمين؟ وإلى أي مدى تتوافق بنودها مع ما ذكرناه من مبادئ وقيم قرآنية باعتبارها أصولا مؤسسة لعلاقة الجماعة المسلمة بغيرها؟

ومن أهم ما ركزت عليه الوثيقة في علاقة المسلمين بغيرهم من أهل المدينة، يشكلون أمة واحدة، "**وفي إطار هذه الأمة الواحدة لكل طائفة حرية الاعتقاد وحق الملكية ...وهي قيم ذات دلالات وأبعاد حضارية**"[2].

ومن أهم العهود التي جاءت في هذه الوثيقة: أمان ليهود بني عاديا من تيماء، وأمان ليهود أيلة، ومعاهدته صلى الله عليه وسلم مع أهل مقنا، ومعاهدته صلى الله عليه وسلم مع أهل جرباء وأذرج. ليخلص الاستاذ الناصري بعد هذا سرده لهذه المعاهدات إلى: "**أن الاعتراف بالآخر واحترام خصوصياته العقدية والسياسية والاقتصادية مسألة مبدأ في الإسلام، إنه موقف ثابت لا يتغير بتغير أحوال الأمة الإسلامية وأوضاعها المادية، فموقف الإسلام والمسلمين من الآخر المخالف دينيا واحد، في حالة قوة المسلمين**

1 عبد العزيز برغوت، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة: السادسة عشرة، شتاء، 2011 م، العدد، 63، صفحة،81.

2 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 40.

وتمكنهم أو في حالة ضعفهم ووهنهم، وهذا ما تزكيه العهود السابقة الذكر والتي جاء التنصيص عليها في زمن قوة الجماعة الإسلامية إذ رغم ذلك حفظت لغير المسلمين حقوقهم الإنسانية كاملة غير منقوصة"[1].

وامتد التعامل ليشمل نصارى نجران ومن أهم ما جاء في العهد الذي أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم معهم: ضرورة احترام حرية الاعتقاد وتحقيق العدل والمساواة، كما ألزم هذا الميثاق المسلمين بتقديم يد العون والمساعدة للنصارى، ولم يتوقف التوجيه القرآني لجماعة المسلمين في التعامل مع الاخر النقيض دينيا عند حد أهل الديانات فحسب، إنما امتد ليشمل المشركين السالمين للجماعة المسلمة كما هو الشأن في صلح الحديبية بل تجاوز ذلك القبائل العربية وفي هذا السياق تأتي معاهدته صلى الله عليه وسلم مع قبيلة بني ضمرة، ليخلص الأستاذ الناصري ويؤكد أن علاقة جماعة المسلمين بغيرهم خلال الصورة الثالثة من صور حياة المسلمين في العهد النبوي، "**يطبعها التعايش السلمي مع المخالف دينيا ، علاقة قائمة على أخلاق الإسلام الإنسانية الموجهة والمسددة بأصول الوحي المنزل**"[2].

وأما في الصورة الرابعة - مكة بعد الفتح - فقد أصبحت الدعوة موجَّهة إلى الناس جميعا، باعتبارها مشروعا تغييريا حضاريا وإنسانيا، ممتدا في الوجود الإنساني حاضرا ومستقبلا، على المستويين الحضاري والجغرافي "**ولأن فكرة العالمية في التصور الإسلامي تشيع فيه منذ بداياته، وفي كل جوانبه سواء منها جوانبه العقيدية أو الشرعية أو رؤيته الكلية للكون والإنسان والحياة. ما كانت فكرة الأمة القائمة على الدعوة لتقف عند هذا الحد**"[3].

ويزكي طرح الدكتور الناصري، مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة، حيث قام بإرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء على امتداد ربوع الجزيرة العربية. إذ شكلت هذه الرسائل منعطفا هاما في تاريخ الإسلام والمسلمين، ربطت المسلمين بالعالم كله، يقول الدكتور الناصري: "**ولكي نفهم هذه المبادرة ونضعها في موقعها الصحيح، ينبغي أن تُفهم بالنظر للخصائص الذاتية للجماعة المسلمة المتمثلة في كونها أمة**

1 نفسه، ص 42.
2 نفسه، ص 44.
3 نفسه، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 44.

الخروج والشهادة والعالمية والخيرية "[1]، هذه الأمة لها خصائص تجعل منها أمة منفتحة على الآخر، تشكل عامل تعاون وتفاعل وتعارف بين مختلف الأمم والشعوب في إطار عالمية الدعوة الإسلامية، وهو طرح يؤكده محمد أبو القاسم حاج حمد: "**حين نقول بعالميه دعوه الإسلام ، فإننا نستجيب لنوع من العالمية الاختيارية التي تقوم على إنسانية التوجه وليس على قهريته ، وهذا هو عين الشرط الإنساني الاختياري الذي عمقه القرآن الكريم بمفهوم النبي الأمي والرسالة إلى الناس كافة، وهذا هو الأساس الحضاري الذي حاول الإسلام تكريسه في ظل عالمية الأميين حين دمج بين حضارات الشعوب القديمة وثقافاتها، كما طرح نفسه وعاء تاريخيا لكافه الديانات السماوية ودمج بين الأعراف والسلالات "**[2].

فكان الحوار والسلم والمشترك الإنساني من الأساسيات التي قامت عليها الدعوة منذ فجر الإسلام، ولم يدعُ هذا الدين إلى القتال ابتداء أبدا، بل دفاعا ونصرة للمظلوم وردا للاعتداءات ومنع الفساد في الأرض، تماشيا مع سياق مفهوم الأمة الشاملة، فقد جاء القتال إما لدفع الظلم، أو قطع الفتنة، أو حماية الدعوة الإسلامية، أو منع الفساد، أو حرصا على تطبيق بنود المعاهدات السلمية ومنع نقضها، وهذا ما بينته الكثير من الآيات في القرآن الكريم، وأكدته السيرة النبوية، وشهدت عليه الأدلة التاريخية[3]. فقد تتبع الدكتور الناصري أهم الغزوات والمعارك ليخلص إلى: "**أن السبب الذي كان يحرك رسول الله في جميع غزواته، هو الدفاع ومواجهة الظلم والطاغوت ونصرة الحق والمستضعفين، ولم يشرع القتال للانتقام والتسلط والعدوان**"[4]، ويرى الأستاذ الناصري في ختام حديثه عن هذه الصور "**أن تناول الصور الأربعة لحياة المسلمين في العهد النبوي بالدراسة والتحليل والاستنطاق ومحاولة الفهم يمكن من تجاوز كل هذه الآفات الفكرية الخطيرة العواقب والآثار**"[5].

1 محمد الناصري، م س، ص 45.
2 محمد أبو القاسم الحاج حمد، الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، دار الهادي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2004 م، ص446.
3 للتوسع أكثر ينظر: محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 46 – 49.
4 نفسه، ص 49.
5 نفسه، ص 50.

الفصل الثالث: التقسيم الإسلامي للمعمورة من دار الحرب... إلى الدار العالمية.

يُعد موضوع تقسيم المعمورة على قدر كبير من الخطورة لارتباطه بالتصور الإسلامي لجغرافيا العالم، إذ يمثل أحد أهم موضوعات الفقه السياسي، كما يشكل أساس التصور الفقهي للعلاقات الدولية، وتعلقه بمسائل الجهاد، وأحكام الأقليات الدينية. الكلام للدكتور الناصري محمد.

وتتجلى هذه الخطورة أيضا في أن المشكلة بين العالمين الإسلامي والغربي تزداد تأزما، فالفهم الفقهي ميز بين دار الحرب ودار الإسلام، فكل من لم يحكم بما أنزل الله فهو من دار حرب. يقول الله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ [سورة المائدة: 46]، ويسرد الكاتب ما جاء على لسان برنارد لويس في انتقاده للرؤية الإسلامية ونظرتها للعالم، "**وفي مقابل دار الإسلام، يقول برنارد لويس، توجد دار الحرب، وهي الأقاليم التي تقع خارج نطاق الأمة الإسلامية، والجهاد يُعد أعظم جزء في الشريعة الإسلامية، وهذا ما نلمسه في القرون الأولى في الإسلام**"[1].

هذا الفهم الخاطئ ساهم بشكل كبير في تكوين رؤية سلبية حول الإسلام والمسلمين، "**المشكلة الأكثر خطورة تتمثل في الظلال القاتمة التي أرساها هذا التقسيم على كثير من الأحداث السياسية والتي أثرت سلبا على العالم الإسلامي، الأمر الذي جعل منا كمسلمين نساعد في تكوين الصورة القاتمة والعدائية عن الإسلام والمسلمين في الذهنية الغربية** "[2]، ولتجاوز هذه الرؤية يرى الكاتب ضرورة مراجعة التراث الفقهي، لتقسيم المعمورة عند الفقهاء، الذين فرقوا بين الدارين ، وذكر الكاتب مجموعة من التعريفات[3] لدار الحرب ولدار الإسلام للعديد من المفكرين.

وفي إطار حديث الكاتب حول: التقسيم الإسلامي للمعمورة: تفهم للماضي واجتهاد لبناء صورة الحاضر والمستقبل، يرى أن هذا التقسيم لا يستند إلى أي دليل من الكتاب والسنة، "**فالتقسيم الفقهي للمعمورة جاء مبنيا على أساس الواقع لا على أساس الشرع**"[4]، هذا الفهم جعل الكثير من الحركات

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 52.
2 نفسه، ص 52.
3 نفسه، ص 53-56.
4 نفسه، ص 57.

الراديكالية تستغل هذا التصور التراثي الفقهي لتقسيم المعمورة، لتبرر به وتعطي المشروعية لما تقوم به من عمليات العنف، وتعتبر أن القتال شرع ابتداء لإخضاع الأنظمة الكافرة لسلطان الإسلام. وهو تصور تبناه العديد من المنظرين أمثال أبو الأعلى المودودي، وسيد قطب.

إن الإشكالات التي يثيرها هذا التقسيم في زماننا المعاصر، وهي عديدة، إضافة إلى أن هذه القسمة تُتَخَذُ حجة بأن المسلمين اليوم لا يمكن أن يكونوا مصدر أمان واستقرار، "**إنها إشكالات خطيرة تبرز بالواضح والملموس فقدان هذا التقسيم لواقعتيه، مما يدل على تاريخيته، فمصطلحا دار الإسلام ودار الحرب أفرزه الفقه الإسلامي قديما في ظل ظروف ومناسبات كانت تستدعيه**"[1]، كل ما سبق يفرض ضرورة مراجعة التراث الفقهي الخاص بمسألة تقسيم المعمورة: إلى دار الإسلام ودار الحرب».

إن المبادئ العامة الحاكمة للفلسفة الإسلامية، واستحضار البعد العالمي الذي يميز الإسلام وغاياته الإنسانية السامية ومقاصد رسالته المنصوص عليها في القرآن الكريم، لا ينسجم والتقسيم الفقهي التراثي للمعمورة القاضي بتقسيم العالم إلى فسطاطين العلاقة بينهما قائمة على الحرب العدوانية، وعليه فهذا التقسيم هو ضرب من التكلف، وبعد عن الواقع وتطبيق لآفاق الرسالة العالمية.

مما سبق يخلص الكاتب إلا أن الأهم هو محاولة تجاوز هذه الرؤى الفقهية الماضية في زمن كانت له أسبابه السياسية، وبالتالي يجب العمل على بناء صورة جديدة لحاضر ومستقبل، في أُفق الأرض الواحدة والدار الواحدة، وتحقيق مفهوم الدار العالمية الواحدة، فالأصل عدم التقسيم، فكل البلاد هي دار الإسلام، الدعوة فيها أساسها اتباع منهج الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، يقول الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [سورة النحل: 125].

يقول الدكتور الناصري "**فالاجتهادات الفقهية القديمة الخاصة بتقسيم المعمورة لم تعد ملائمة للواقع الدولي المعاصر ، فضلا عن قصورها في رعاية التنوع العالمي داخل منظومة دولية واحدة ، وعليه فتجاوز التقسيم الثنائي للمعمورة إلى مفهوم الدار العالمية الواحدة يمكن من التأسيس من جديد لنوع من الإسلام الإسلامي في حل وتجاوز مشكلات وأزمات عالمنا المعاصر ، وأن إسلام الدعوة لا يتعارض مع**

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 64.

هذا التوجه ، بينما قد يؤدي التركيز على التقسيم الفقهي التراثي بالشكل الذي فهم إلى نوع من العزلة ، وتكريس للنوع الغرائبية القدحية التي تجود بها قرائح أعداء الإسلام في محاربهم العاجية"[1].

الفصل الرابع: قضايا في الفكر الأخلاقي.

عرف العالم عبر مختلف المراحل التاريخية تطورات لامست مختلف مجالات الحياة الأمر الذي نتج عنه ازدهار مادي، إلا أن ذلك انعكس بشكل سلبي على منظومة القيم الأخلاقية، مما ساهم في بروز أزمة أخلاقية انبثقت من الهيمنة المادية والتقنية على حساب القيم الإنسانية الأمر الذي يشكل خطرا يهدد منظومة القيم، "**وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا النمط من التفكير إلى تحقيق تقدم مادي ظاهر في مقابل ترد أخلاقي مخزن**"[2]، **من هنا جاءت الدعوة إلى العودة إلى الأخلاق هذه العودة لم تكن مجرد توصيات ومواعظ وأحكاما، بل أصبحت مشروعا منهجيا ونظاما معرفيا يشمل جميع مجالات الحياة لمواجهة تحديات العصر.** "**تشكل إشكالية مركزية داخل الفكر العالمي برمته، وستظل تشغل بال المفكرين والفلاسفة ورجال السياسة والقانون على اختلاف مشاربهم الفكرية**"[3].

بالتالي فالتناول الأخلاقي يقتضي بالضرورة الانخراط في التفكير في الإشكالات التالية:

- **الإشكالية الأولى: هل المعول في بناء الأخلاق على العقل أم النقل؟**

هذه الإشكالية شكلت موضوع للنقاش بين المفكرين الأخلاقيين الغربيين والإسلاميين قديما وحديثا:

1. الفكر الأخلاقي الغربي: يركز الفكر الأخلاقي الغربي منذ "أفلاطون" و"أريسطو" وحتى "كانط"، على اعتبار العقل هو المصدر الأساسي لبناء القيم الأخلاقية، حيث إن هؤلاء وأمثالهم، "**قد مجدوا العقل واعتبروه مصدرا وأساسا لكل القيم الأخلاقية**"[4]، إذ يرى هؤلاء أن العقل يمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر، وأنه بمقدوره توليد شعور داخلي بالأخلاق يعارض الانجراف وراء المشاعر

1 نفسه، ص 67.
2 نفسه، ص 69.
3 قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 69.
4 نفسه، ص 70.

والعادات أو تأثيرات المصلحة الشخصية. في هذا السياق يعد الاعتماد على العقل نهجا يسعى للوصول إلى معرفة موضوعية ومستقلة عن العوامل الذاتية أو الثقافية، وهو ما يعرف "**بمبدأ العقلانية**"[1]، حيث يُفترض أن البحث العلمي والتجريبي يمكن أن يكشف عن الحقيقة الأخلاقية، ومع ذلك فإن هذا الموقف يثير تساؤلات حول إمكانية إغفال البعد الإنساني والعاطفي في تشكيل الأخلاق، مما يجعل النقاش حول أصلها مفتوحا يستدعي التوازن بين متطلبات العقل والحاجات الإنسانية الجوهرية.

2. الفكر الأخلاقي الإسلامي:

لقد أثارت هذه الإشكالية في الفكر الإسلامي صخبا واسعا وصل إلى حد التهكم بين المدارس الكلامية، فكل مدرسة ترى أن أساس الأخلاق مختلف عن الآخر ومن هذه المدارس التي خلقت جدلا نجد المعتزلة والأشاعرة، أما المعتزلة فهم يؤكدون على أن العقل هو المصدر الأساسي للأخلاق، حيث ينبغي أن يسبق النقل" السمع" في إرساء معايير الخير والشر. في حين أن الأشاعرة يرون أن العقل وحده محدود ولا يكفي لتحديد القيم الأخلاقية، وأن النقل هو المرجع الذي يحدد ما هو حلال وما هو حرام وهنا اعتبروا النقل سلطة خارجية تكمل قدرات العقل في التمييز بين الخطأ والصواب.

ويطرح القرآن الكريم رؤية متوازنة تكسر ثنائية الفصل بين العقل والنقل، إذ يرى أن الإنسان مزود منذ نشأته بنور فطري يمكنه من الإحساس بالخير والشر، وهذا ما يعبر عنه قوله تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا﴾** [سورة الشمس: 7 - 8]، وباختصار فالرؤية القرآنية تقدم حلا وسطا يجسد التآلف بين العقل المبدع الطبيعي والشرع الملهم، مما يعيد للأخلاق أحقيتها ويضمن بقاءها كمرجعية ثابتة تنير مسير الإنسان في مواجهة تحديات العصر. "**فالعقل والنور يسيران معا في القرآن الكريم، وفي قلب المؤمن يستقر نوران، وهذا، وهذا معنى رمز النور المزدوج في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾** [سورة النور: 35]"[2].

---

1 وتعني العقلانية أن العقل هو الأداة الرئيسية للمعرفة وللوصول إلى الحقيقة، وهو ليس مجرد أداة يسترشد بها الإنسان في إدراك العالم ومعرفه الواقع معرفة موضوعية مستقلة عن الهوى الفردي والجماعي. بل إن العقلانية سعي متواصل لتجاوز محدودية المعرفة العلمية وتخطي كل أنواع العوائق والوصول إلى أكثر الحلول عقلانية.

2 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 75.

- **الإشكالية الثانية: هل الأخلاق مطلقة أم نسبية؟**

أما بخصوص هذه الإشكالية فهي لا تقل أهمية عن سابقاتها، إذ عرفت هي الأخرى صداما معرفيا حول أساس الأخلاق خاصة في الفكر الغربي وانقسمت الآراء إلى اتجاهين:

- **اتجاه عقلي**: يعتمد هذا الاتجاه على العقل في دراسة الأخلاق، ويرى أن الأخلاق فطرية في الإنسان، حيث يولد الإنسان مزودا بمبادئ أخلاقية أولية تساعده على التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، دون الحاجة إلى تجربة خارجية.
- **اتجاه تجريبي**: يقولون بأن الأخلاق مكتسبة بالكامل، حيث تتشكل بفعل البيئة الاجتماعية والتجربة، وأن الانسان لا يولد بأي معرفة أخلاقية مسبقة، "**لأن القول بالفكرة المفطورة أو المطبوعة في العقل ثم القول بعدم إدراك العقل لها إنما تعني تناقضا عميقا وخللا في نظرية دعاة الأفكار الفطرية حسب جون لوك**"[1].

غير أن هناك اتجاه ثالث تكاملي يرون بأن الأخلاق نتاج تفاعل بين الجانبين الفطري والمكتسب، حيث يحمل الإنسان نزعات أخلاقية طبيعية تتفاعل مع العوامل البيئية لتشكيل سلوكه النهائي.

وإذا انتقلنا إلى الفكر الإسلامي نجده هو أيضا يعكس التنوع نفسه في المواقف حول هذه القضية فنجد:

موقف القائلين بفطرية الأخلاق: يرون أن الانسان يولد بطباع أخلاقية ثابتة مثلما يولد بصفات جسدية لا تتغير. وحجتهم في ذلك أن "**الخُلُقَ هو صورة الباطن، كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها، .... فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى.**"[2].

1 نفسه، ص 77.

2 الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، د. ت، لبنان، ج 3، ص30.

موقف القائلين بأن الأخلاق مكتسبة: يؤكدون بأن الانسان يمكنه اكتساب الأخلاق أو تغييرها من خلال التربية والعادات، وحجتهم في ذلك أن "**لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات.**"[1].

- **الموقف التوفيقي**: يجمع بين الرأيين، حيث يرى أن بعض الأخلاق فطرية، لكنها تتطور وتتأثر بالبيئة والتربية، وهنا يأتي دور الشرع في تقويم الفطرة وتوجيه الإنسان نحو الفضيلة.

وما يظهر من خلال هذه المواقف أن الأخلاق ليست محض فطرة ولا محض اكتساب، بل تتشكل من تفاعل بين الاثنين، فالإنسان يولد بميل طبيعي للخير، لكن بيئته وظروفه تحدد مدى تطور هذا الميل، وهنا يأتي دور التربية والشرع في صقل السلوك الأخلاقي.

- **الإشكالية الثالثة: هل الأخلاق نسبية أم مطلقة**:

تعد قضية نسبية أو مطلقية الأخلاق من الإشكاليات الفلسفية التي شغلت الفكر الإنساني قديما وحديثا، في هذا السياق ظهرت اتجاهات فلسفية متعددة حاولت كل منها تقديم تصور خاص حول طبيعة الأخلاق.

- **الاتجاه الأول**: الاتجاه المثالي القائل بمطلقية الأخلاق وأنها لا تتغير بتغير الزمان والمكان. فالقيم الأخلاقية من وجهة نظرهم موضوعية وواجبة في كل الأزمة والظروف وتفرض نفسها على الوجدان الإنساني بطريقة حدسية. فالقيم موجودة وثابتة لا تتغير، ولكن الناس يتفاوتون في إدراكهم لها وبصيرتهم بها.
- **الاتجاه الثاني**: الاتجاه الواقعي أو التجريبي القائل بنسبة الأخلاق، ويذهب رواده أن الاخلاق نسبية تتغير تبعا لاختلاف البيئات الاجتماعية والثقافية والإنسانية عبر العصور. فالسلوك الأخلاقي في حسب هذا الاتجاه ليس له معيار ثابت، بل يختلف من مجتمع إلى آخر من زمن إلى آخر. ويؤكد أنصار هذا الاتجاه أن الأخلاق تتطور مع تطور المجتمعات والثقافات، وتخضع لعوامل دينية واقتصادية

1 نفسه، ص61.

وتاريخية متغيرة، وبالتالي فليس هناك "أخلاق عالمية" بالمعنى الدقيق، بل أخلاق متعددة بحسب الخصوصيات الاجتماعية.

أما إذا انتقلنا إلى الفكر الأخلاقي الإسلامي فهذه الإشكالية لم تثر بالحدة نفسها في الفكر الغربي، حيث يجمع العلماء على أن القيم الأخلاقية مطلقة وثابتة، لأنها مستمدة من مصدر إلهي هو القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان. فالأخلاق جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، وهي مرتبطة بالإيمان والعمل الصالح، ومقيدة بأوامر الله ونواهيه.

الفصل الخامس: **القرآن الكريم والتاريخ الإنساني**: **مناهج المراجعة وسنن الاستبدال**.

يعد القرآن الكريم مصدرا رئيسيا للوعي التاريخي، حيث يوجه الإنسان إلى دراسة الماضي واستخلاص العبر من تجارب الأمم السابقة. فهو لا يقتصر على السرد القصصي، بل يقدم رؤية تاريخية متكاملة تشمل مختلف جوانب الحياة البشرية، من العبادة والفكر إلى السياسة والاقتصاد. كما يسلط الضوء على سنن التغيير والاستبدال الحضاري، داعيا إلى التأمل في حركة التاريخ واستنطاقه واستقراء الحوادث لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. "**فالقرآن الكريم هو مصدر المعرفة التاريخية، ومصدر الوعي التاريخي في وقت واحد**"[1].

أ – القرآن الكريم والتاريخ الإنساني:

إن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب هداية روحية، بل هو أيضا مصدر عميق لفهم التاريخ وقوانينه، فهو يقدم لنا تصورا فريدا وشاملا للتاريخ لا يقوم على التوثيق الزمني فحسب، بل على فهم الغاية من الأحداث وسننها. هذا التصور يقسم الزمان إلى ثلاث مستويات "ما فوق التاريخ، الطبيعي، والتاريخي"، ويظهر كيف أن كل حدث يرتبط برسالة هادفة تتعلق بعلاقة الإنسان بالله ودوره في الكون. إضافة إلى ذلك نجد القرآن أيضا يركز على السنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ والمجتمعات، فهي قوانين حاكمة للوجود سواء في الطبيعة أو في الاجتماع البشري وبهذا المعنى تنقسم السنن إلى: سنن إجبارية وهي خارجة عن إرادة الإنسان ك "**الولادة، الموت، الحياة.. وهي مما لا طاقة للإنسان فيه، وسنن اختيارية مرتبطة بإرادة الإنسان**

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، ص 86.

وسلوكه، وهي داخلة في في دائرة قدرة الإنسان، وهي ما يبنى عليها التكليف والجزاء والاستخلاف. وقد تأثر بهذا الفهم علماء مسلمون كابن خلدون الذي بنى نظريته في الاجتماع البشري على سنن التاريخ كما وردت في القرآن، مؤكدا أن القرآن هو مصدر هداية، ومنهج لتحليل التاريخ وفهم سننه من أجل بناء الحاضر واستشراف المستقبل. "والرؤية القرآنية تحيط بالماضي لكي تكثفه في قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى الى فهمه، وإلى أن يرسم على ضوء هذا الفهم، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلة، باعتبار أن الأزمان الثلاثة إنما هي وحدة حيوية تحكمها قوانين واحده كتلك التي تحكم الحياة سواء بسواء"[1].

ب – القرآن الكريم: مناهج المراجعة وسنن الاستبدال.

وفي هذا السياق يتضح دور القرآن الكريم في تقديم منهج متكامل لفهم حركة التاريخ، حيث يبرز فيه مفهوم المراجعة كوسيلة لتحليل الماضي، ليس باعتباره توثيقا للأحداث، بل كأداة لفهم السنن الإلهية التي تحكم سلوك البشر والأمم. والهدف من ذلك هو الوعي بالمراحل التي مرت بها الحضارات السابقة، وما تم من أخطاء ونجاحات، لتجنب الوقوع في نفس الأخطاء واتباع سبيل النجاح، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [سورة يوسف، 109]، فالقرآن الكريم يلفت نظر الإنسان إلى أهمية المراجعة التاريخية تراثا وحضارة وثقافة نهوضا وسقوطا، ويبين أيضا سنة الاستبدال التي تعد من السنن الثابتة في القرآن الكريم، والتي تعني أن الله سبحانه وتعالى قد يختار استبدال أمة بأخرى عندما تفشل في أداء رسالتها الدينية أو الحضارية. فالأمم التي لا تلتزم بمنهج الله ولا تؤدي وظيفتها كما ينبغي يزيحها ويبدلها بأمة أخرى، قال تعالى: ﴿**إِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوَاْ أَمْثَـٰلَكُمْ**﴾ [سورة محمد، 39]، والاستبدال لا يعني الهلاك الكامل للأمم، بل زوال دورها الحضاري.

وعليه، فإن فهم السنن الإلهية وتطبيقاتها في الحياة البشرية هو مفتاح لتحقيق التوازن والنمو في المجتمعات. ومن خلال استخلاص دراسة هذه السنن واستخلاص قوانينها، يمكننا بناء أسس علمية تمكننا من معالجة قضايا العصر والمساهمة في تقدم الحضارة.

1 عماد الدين خليل، مقالات إسلامية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 2005م، الصفحة: 113- 114.

الفصل السادس: حقوق الإنسان في الأديان الإبراهيمية: ترشيد لمنظومة حقوق الإنسان المعاصرة.

تعد حقوق الانسان من أبرز الإنجازات الفكرية التي حققتها البشرية في العصر الحديث، حيث تسعى لحماية الإنسان من كافة أشكال القهر والتسلط والعدوان التي قد يتعرض لها سواء على يد الأفراد أو الجماعات، ورغم التقدم الكبير في مجال حقوق الإنسان، فإن التطبيق الفعلي لمبادئ هذه الحقوق ما يزال يعاني من تحديات بنيوية على المستوى العالمي، حيث يتم خرق هذه الحقوق بشكل مستمر. حتى في ظل التقدم التقني الذي تشهده البشرية في مجال الاتصال والمعلوميات.

وتتجلى إشكالية هذه الانتهاكات في أن المرجعيات الفكرية التي تقوم عليها منظومة حقوق الإنسان غالبا ما تكون ذات طابع مادي، تغلب المنفعة الفردية والمصلحة الذاتية على قيم التعاون والعدالة الشاملة. علاوة على ذلك فإن السياسات الغربية المهيمنة على هذه الحقوق تتسم أحيانا بسياسة التمييز، حيث تعتبر حقوق الإنسان امتيازا خاصا للإنسان الغربي، في حين تنتهك تلك الحقوق خارج حدود الغرب.

في هذا السياق يبرز دور الأديان الإبراهيمية في ترشيد وتنظيم حقوق الإنسان، من خلال تقديم رؤية متوازنة ترتكز على القيم الإنسانية الشاملة التي تتضمن العدالة والمساواة لجميع البشر. وبالتالي وجب تسليط الضوء على أهمية ودور الأديان الإبراهيمية في ترشيد وتفعيل منظومة حقوق الإنسان المعاصر، من خلال التأكيد على القيم المشتركة التي تجمع بين هذه الأديان مما يساهم في تصحيح مسار حقوق الإنسان وحمايتها من الظلم والتمييز.

وفيما يلي عرض لحقوق الإنسان في كل من الديانة اليهودية والمسيحية.

حقوق الإنسان في اليهودية: تقر الديانة اليهودية من خلال التوراة والوصايا العشر، بجملة من الحقوق التي تعد من أساسيات كرامة الإنسان، مثل الحق في الحياة، والملكية، والعمل، والراحة ....، وهي حقوق تعكس جانبا من الرحمة والموعظة التي وصف بها القرآن شريعة موسى عليه السلام، إلا أن هذه الحقوق رغم أهميتها لم تكن تشمل جميع البشر، بل خُصت ببني إسرائيل دون غيرهم. كما أن القراءة المتأنية لنصوص التوراة خاصة في سفر التثنية والعدد تكشف عن تحول في الشريعة نحو التشديد والإفراط في العقوبة بما يتنافى مع مقاصد العدالة والرحمة، فضلا عن تكريس مبدأ "شعب الله المختار" الذي أسس

لنزعة عنصرية انعكست لاحقا في الفكر التلمودي والصهيوني، حيث تم تمييز اليهودي عن غيره، وسُلب الآخرون من حقوقهم الأساسية، وهو ما يجعل الحديث عن حقوق الإنسان في اليهودية مسألة إشكالية، تجمع القيم النظرية والتطبيقات المنحازة.

حقوق الإنسان في المسيحية: تركز ديانة المسيحية في نظرتها لحقوق الإنسان على مبادئ المحبة والإخاء والكرامة الإنسانية، انطلاقا من مبدأ أن البشر إخوة ولهم أب سماوي واحد. دعت تعاليمها إلى المحبة، العدل، والمساواة، وحرية الاعتقاد....، لكنها تناقضت أحيانا بين النصوص والممارسات، خاصة في العصور الوسطى حين مارست الكنيسة الاستبداد الديني والسياسي، مما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية وثورات علمانية في أوروبا.

وإذا كانتا الديانتان اليهودية والمسيحية قد تناولتا حقوق الإنسان كل بمنظوره، فإن الإسلام جاء ليضع منظومة متكاملة وشاملة لحقوق الإنسان، حيث اعتبرها جزءا من طبيعة الإنسان التي كرمه الله بها منذ خلقه، دون تمييز في اللون أو الجنس أو الدين، فجعل الكرامة حقا أصيلا لكل البشر، واعتبر الإنسان مستخلفا في الأرض لتحقيق العدل وعمارتها، وأقام تصور هذه الحقوق على مبادئ التكريم والمساواة والاستخلاف، فجاء الإسلام ليهدم كل أشكال التمييز والعنصرية، مؤكدا أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، ولم يفق الإسلام عن التنظير بل جعل هذه الحقوق من الضروريات التي يجب صيانتها وربطها بالثواب والعقاب، وضمنها بتشريعات ملزمة، فجل حفظ الكرامة الإنسانية مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وغاية من غايات الرسالة النبوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، 106].

الفصل السابع، النسخ وشرعة السيف.

يذهب هذا الفصل إلى أن علاقة الإسلام بغيره من الأمم هو السلم لا الحرب، مستندا إلى السياق التاريخي الذي ظهر فيه الإسلام، حيث كانت الحضارات السابقة تقوم على التمييز ورفض الآخر، حتى بعد تحريف الديانات السماوية. فقد وجه الإسلام دعوة إلى السلام العالمي بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة، الآية:206]، مشيرا إلى أن مبادئ الإسلام كالتوحيد والاعتراف بالأديان

السابقة والعدل... تشكل أساسا راسخا لبناء علاقة سليمة مع غير المسلمين. غير أن وجود آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدعوا للقتال أثار جدلا بين العلماء، عالجه بعضهم بمقولة "النسخ"، معتبرين أن آية السيف نسخت العشرات من الآيات الداعية إلى السلم. إلا أن هذا التأويل لم يخلُ من اضطراب بسبب الخلاف حول حقيقة النسخ وعدد الآيات المنسوخة، بل وحتى ما إذا كانت آية السيف نفسها منسوخة، مما يعكس تعقيد المسألة وأهميتها في فهم طبيعة العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

ويبين هذا الطرح أن الفقهاء والمفسرين من السلف قد بنوا تصوراتهم حول علاقة المسلمين بغيرهم على أساس أن الأصل فيها هو القتال لا السلم. وأن علة القتال هي الكفر ذاته وليس العدوان أو الإضرار الفعلي بالمسلمين، وقد استند هذا الاتجاه إلى مفهوم نسخ آيات السلم بآية السيف، معتبرين أن كل غير مسلم إذا بلغته الدعوة ورفضها، وجب قتاله أو فرض الجزية عليه إذا كان من أهل الكتاب. ويتضح من استعراض أقوال الشافعي وابن قدامة والشوكاني والجصاص وغيرهم[1] أن هذا الرأي يستند إلى تأويلات حرفية للنصوص، تقوم على مبدأ الإطلاق والعموم في تشريع القتال، متجاهلة السياقات الزمنية والمكانية التي نزلت فيها الآيات، وكذلك تطور التشريع الإسلامي وفق الحاجة والمرحلة.

ويؤسس هذا التصور لمنظور صدامي متشدد يجعل من الكفر بحد ذاته مبررا للحرب، بل ويُحوِل الدعوة إلى الإسلام من مهمة قائمة على البلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة إلى مشروع قهري يُفرض بالقوة. تحت دعوى حماية المجتمع المسلم من الضلال.

غير أن هذه الرؤية تواجه تناقضات فكرية وعقائدية عميقة منها:

كيف يفهم النسخ في سياق يفضي إلى إلغاء آيات قطعية في حرية المعتقد والتعايش؟

هل يصح بناء أصل تشريعي "كالقتال" على قاعدة منسوخة لآيات السلم، بينما النسخ نفسه مثار للجدل بين العلماء؟

1 محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، م س، 122.121.

وهل الدين الذي وصف نفسه بأنه "رحمة للعالمين" يمكن أن يجعل القتال وسيلة لفرض نفسه على العالمين؟ أم أن هذه القراءة الفقهية تمثل تأثرا بتجارب تاريخية كانت السياسة فيها أقوى من النص والتوسع العسكري أسبق من التبليغ الدعوي؟

ومن هذا المنظور النقدي لتوظيف آية السيف خارج سياقها، تتضح الحاجة إلى إعادة قراءة الآيات القتالية في ضوء مقاصد الشريعة وسياقات النزول، وهو ما يبرز جليا في سورة التوبة التي طالما اعتُبرت موضع الاستناد لهذا الفهم الإقصائي. فآيات القتال التي وردت في سورة التوبة لا تأتي في سياق شرعة دينية دائمة، بل في سياق معركة دفاعية محددة، ضد قوم نقضوا العهد وبدأوا بالعدوان، فالقرآن لا يشرع للقتال بوصفه أصلا في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، بل يضبطه بعلل واضحة، مثل العدوان، أو الإخراج من الديار، أو الفتنة عن الدين، وكلها مظاهر لاعتداء لا لمجرد الكفر. ومن هنا فإن النظر في آيات القتال "وبالخصوص آية السيف" يجب ان يتم ضمن سياقها التاريخي والموضوعي، لا أن تفصل عن ملابساتها وسياق النزول، وتفهم على أنها تشريع دائم للقتال ضد غير المسلمين مطلقا.

وبذلك فإن فهم القتال في الإسلام لا يمكن ان يقوم على قاعدة القهر والإكراه، وإنما يؤسس على قيم الدفاع والردع العادل، بما ينسجم مع المنظور القرآني العام للعلاقات الدولية، والذي يقرر أن السلم هو الأصل والحرب استثناء تفرضه الضرورة.

الفصل الثامن: حرية الاعتقاد في القرآن الكريم، الأصل المنهجي لفقه التعارف والاجتماع الإنساني.

يعد موضوع حرية الاعتقاد من القضايا المركزية التي يتناولها القرآن الكريم بشكل متكرر، ويعتبر من الحقوق التي لا يسمح المساس بها. ويوضح القرآن الكريم هذه الفكرة في العديد من الآيات التي تؤكد على عدم إكراه الناس على الإيمان، بل ترك لهم حرية الاختيار بناءً على قناعاتهم الشخصية بعد أن يتهم تبليغهم الحقائق والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. ومن أشد الآيات دلالة في الاستدلال قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [سورة البقرة، 255]، والتي تمثل قاعدة أساسية في الفكر الإسلامي، إذ يستفاد منها أن الإيمان لا يكون عن قسر، بل عن اقتناع.

إلى جانب حرية الاعتقاد، أقر القرآن الكريم حرية التفكير والتعبير فدعا إلى إعمال العقل والتدبر في الكون والقرآن، ورفض الإكراه والتقليد الأعمى، وامتدح من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وذم المعطلين لعقولهم، كما اعتبر الاختلاف بين البشر سنة كونية وإرادة إلهية، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود، الآيتان:118]، مما يؤكد أن حرية الإنسان في الاعتقاد والفكر والتعبير مضمونة ومحمية في المنظور القرآني. وهذا ما يتسق تماما مع ما قرره القرآن الكريم من أن الإيمان لا يتم بالإكراه، بل بالاقتناع والحرية، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، التي تعد قاعدة تأسيسية للفكر الإسلامي، ولا يصح نسخها ولا تعطيلها، بل جاءت السيرة النبوية والعهود النبوية لتؤكد تطبيقها العلمي.

والقول بنسخ آية "لا إكراه في الدين" بآية السيف لا يصمد أمام النقد العلمي والنصي، إذ أن هذه الآية نزلت بعد فرض القتال، ويرجح أنها نزلت بعد فتح مكة، ما يُبطل دعوى أنها منسوخة. ثم إن آية السيف لم تأت لإكراه الناس على الدين، وإنما نزلت في مشركين نقضوا العهد وظاهروا الأعداء، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: 4]، كما أن النسخ لا يقع في الكليات كحرية الاعتقاد، لأنها قاعدة تأسيسية في الشريعة. وحتى السنة النبوية لا يمكن أن تنسخ القرآن أو تناقضه، وحديث قتل المرتد إنما يفهم في سياق خيانة الجماعة، لا لمجرد تبديل العقيدة. وتؤكد وثيقة نصارى نجران هذا المعنى، إذ ضمنت لهم حرية الدين والعبادة والزواج وبناء المعابد، وبهذا تبرز انسجام السنة مع النص القرآني في تكريس حرية الاعتقاد، ورفض الإكراه في الدين، ودحض مزاعم النسخ القائمة على تأويل سياسي أو حربي لا يعكس روح الإسلام.

على سبيل الختم:

يمكن القول أن هذا الكتاب يندرج في إطار مشروع كبير غايته بيان فاعلية العقل الإسلامي، هذه الفاعلية تم الحد منها من خلال التاريخ، مقابل ذلك تم تقديس بعض الاجتهادات التي تحولت إلى قيود منعت العقل الإسلامي من الانطلاق والابداع والتحرر. فتحولت عملية الاجتهاد من عملية ذهنية إلى

مجرد معارف متراكمة، هكذا تم حرمان الإنسانية جمعاء من معرفة إلهية هاجسها إنساني وصلاحيتها مطلقة تتجاوز الزمان والمكان، وتفتح أمام الإنسان أفق لا متناهية، ارتباطا بهذه الغاية الجليلة سيحاول الأستاذ محمد الناصري خوض غمار هذه المعركة الفكرية الصعبة لكنها ضرورية في ظل سياق مأزوم غاب فيه الإنسان وانتصرت فيه النوازع والرغبات والأهواء، مما جعل الإنسان المعاصر يعيش أزمة اللامعنى ويعاني في عالم مفتوح متعدد الأبعاد.

لائحة المصادر والمراجع.

- ✓ محمد الناصري، قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر النص، حرية الاعتقاد، المشترك الإنساني، دار الأمان، الرباط، الطبعة:1، 2023م.
- ✓ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1412هـ/1991 م.
- ✓ رضوان السيد، القرآن والتاريخ: رؤية قرآنية في الأمم والحضارات، مجلة التفاهم، السنة التاسعة، 1432 هـ/ 2011 م، عدد: 32.
- ✓ عبد العزيز برغوت، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة: السادسة عشرة، شتاء، 2011 م، العدد، 63.
- ✓ محمد أبو القاسم الحاج حمد، الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، دار الهادي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2004 م.
- ✓ الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، د. ت، لبنان.
- ✓ عماد الدين خليل، مقالات إسلامية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 2005م.

.

مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

maarifa-center.com

maarifa2011@ gmail.com

facebook.com/almaarifa.centre

جميع الحقوق محفوظة © 2025

All rights reserved © 2025

لجنة الإعلام والتواصل